بايامه وازهرت العلوم بعدل احكامه ابقاهما الله للاوطان يطلعان في سمائها بدرين ويقتسمان شكرها شكرين بمنه وكرمه

ثم ان علينا واجب شكر نؤديه لصاحبتي الدولة والعفاف سمو الوالدة المعظمة والحرم المصون لما توليانه هذه المجلة من جزيل العناية وجميل الرعاية مما جدد لآداب النساء عهداً جديداً وادنى من معارفهن ما كان بعيداً فلا زالتا فخراً لربات الحجال وحجة للنساء على الرجال ولا برح عهدهما عهد السعادة والاقبال وزمن الفضائل والافضال

ولقد فرض على المجلة شكر حضرات مشتركيها الكرام الذين ما تركوا في نفسها من اقبالهم مأمولا كما لم تترك في سبيل مرضاتهم وارتياحهم سبيلا حتى صار غرسها بفضلهم دوحة صلباً عودها غصناً املودها يزيدها القدم بعنايتهم جدة ونماء ويكسبها الزمن برعايتهم رونقاً وبهاء وهي لا تزال الى الان تنتشر بمشيئتهم وتمتد ويتصل منهم نجاح امسها بالغد حتى كأن اقبالهم عليها كان وعداً وقد تجاوزوا بها محدود الوعد

هذا ولما كانت مجلتنا على ما نصف فهي ستظل على ما عرفه فيها حضراتهم من مواصلة ما يوجب تمام الرضى والارتياح ويقضي بدوام الشكر على النجاح ثم تودع عامها الذاهب وداع المشكور على ما حسن من حالاته وطاب من اوقاته وتستقبل عامها الجديد الذي يطلع عليها بعد ساعات مؤملة ان تتجدد فيه محاسن ما مضى وفات وان يهيئ الله لجميعنا فيه بركات ما تقدمه من عشرات الاعوام خاتماً فيه قرننا التاسع عشر اجمل ختام بمنه واحسانه

الشعر العصري

لقد اصبح الشعر العصري وهو ما يريدون به تقليد الافرنج في نظم الشعر متناولاً اكثر الاغراض من اجل ما يشتغل به رجال الشعر عندنا واكثر ما تستبق اليه قرائحهم والبابهم وذلك خروجاً بشعرنا العربي عن حدوده المرسومة من القديم الى مواطن جديدة يتسع بها مجال القول وتمتد مسافة التصور ولهذا رأينا بين ادبائنا شعراء قد اتموا الجري على هذه الطريقة من النظم حتى بدت لنا اقوالهم بارزة من حال الفصاحة باجمل لباس جديرة بان تنقل بمعناها الى كل لغة وان تكون فكاهة كل الناس

ولكن لا يتوهم القارئ ان هذا النسق من الشعر وهو النظم في اكثر المقاصد والحالات انما هو كله من صنع الافرنج واختراعهم وان العرب قد اغفلوه ولم يكن لهم منه نصيب بل الحقيقة انهم كانوا اول من اهدى الى هذه المدنية الجديدة ذلك النسق الجميل واول من اخترع من اساليب النظم ما يكون موافقاً لكل امة وكل جيل

فلقد وصف المتنبي الاسد وصورته وافعاله فكان وصفه وهو القديم من اجل ما يمكن ان يبلغه هذا الشعر الجديد ولو فتشت جميع دواوين الافرنج وسواهم لما وجدت فيها بوصف الاسد كلاماً يداني كلام المتنبي في صدق تشبيهه وجودة اسلوبه ووصف البحتري قصور المتوكل وحدائقها فما ترك بعده مجالاً لواصف ينعت جمال البناء ويجيد تصوره ونظم كثيرون غيرهما في وصف الخمر والاقداح والخيل والكواكب ووجدانات النفوس

وتخيلاتها واكثر الحالات التي تعرض للانسان مما خرجوا به عن مرسوم الشعر القديم فاجادوا فيه الى النهاية حتى ما داناهم احد بعدهم فيما وصفوا ولكنهم مع كل ما ذكرنا عنهم لم يكونوا يستقلون في منظوماتهم تلك كما فعل الفارض مثلاً في قصيدته الخمرية بل كانوا يمزجون ذلك بين اثناء المدائح وسائر الاغراض فتخفى على الكثيرين مع انها لو جردت مما التحمت به وتعمد ناظمها الاستقلال بها لما جاز لنا ان نسمي طريقتنا التى نقلد بها الافرنج بالطريقة الجديدة بل حق لنا ان نقول ان الافرنج قد اخذوا تلك الطريقة عنا وان بضاعتنا قد ردت الينا لاننا نرجح ان العرب كانوا اول امة تهذبت بها طرائق الشعر من حيث هو زخرف القول وجماله وان شعرهم كان من اكبر الاسباب في بلاغة الشعر الحاضر بعمومه كيف كانت لغاته

الا انه لا يخفى القارئ ان الشعر كيف كان اللسان المنظوم به انما هو نوع من انواع القول مستقل بذاته وله من حدود الذوق وكيفية التركيب خصائص لا يصح اجتنابها ولا اجتناب بعضها والا عد غير شعر ولو كانت معانيه من معاني الشعر بل ان صنعة الشعر قد دقت حتى صار لها الفاظ خاصة بها بحيث اصبحت لفظة دخيلة على الفاظه معدودة عيباً فيه ولذلك كانت صناعة الشعر في كل لغة بالعموم واللغة العربية بالخصوص من ادق صنائع الجنان والطف نتائج الالباب بل صار الشعر بذلك اشبه بالماء السائغ الصافي اذا القيت فيه ذرة من مادة ملونة فتحول بها عن لونه الطبيعي لم يعد يعدّ ماء وان كان لا يزال سائغاً نافعاً وفي هذا التشبيه تتبين دقة الشعر ولطفه وما له من الحدود الضيقة التي صدق في وصفها كل الصدق علامتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اذ قال

هذا هو الامد الاقصى الذي قصرت عنه الجياد وكلت دونه الهجن
في كل فن سواه كل طائفة قل التفاوت فيها حين تقترن

بل ان في هذين البيتين وما فيهما من الذوق في استخدام المجاز للدلالة على الحقيقة ما يدل على لطف الشعر ويحقق قول احد علماء الافرنج اذ ذكر ان شعراء العالم الحقيقيين يعدون على الاصابع عداً

ولقد يظن كثيرون ان الشاعرية تتم في الشعر العصري بان تكون موصوفة فيه شؤون هذا العصر وحالاته الجديدة فاذا نظم احدهم الشعر في وصف اسلاك البرق مثلاً او قطرات الحديد والضوء الكهربائي فقد حق له ان يسمى شاعراً وان يتيه على من تقدمه من الشعراء الجاهليين ولو فاته ما فاته من قيود الشعر وحدوده مع ان ذلك خطأ محض وقد وقع فيه كثيرون ممن حاولوا الدخول في هذا الغمار فنظموا في الطف المقاصد العصرية واجمل الحالات الجديدة فما زادوا في كلامهم المعقود شيئاً على المحلول بل بدا وهو ليس بنثر ولا بشعر فما اهتمت لحفظه ذاكرة ولا علق شيء منه في خاطر ولم يكن مما يحرص عليه ويؤثر وذلك لان اول ما يجب ان يعتمد عليه الشاعر العربي هو النسق العربي المحض والتراكيب المختصة به لا المعاني والاوصاف التي يجيء بها فان تلك المعاني مهما كانت سامية كما قلنا فانها تخرج بالشعر عن حده وتجعله منحطاً منبوذاً اذا لم يكن قالبها عربياً مصنوعاً على موجب حدود الذوق التي حدها العرب في اشعارهم القديمة ولو كانت في وصف الطلل وذكر الناقة والجمل بل انهم قد زادوا في ذلك حتى لم يعد يذكر لديهم الخطأ النحوي واللغوي في جنب الخروج عن ذلك الذوق وتلك التراكيب التي تتم بها حقيقة الشعر ولدينا الان شعراء كثيرون قد

استقلت قصائدهم بالسلامة من عيوب اللغة ولكنها لا تقاس بشيء امام قصائد المتنبي والبحتري ومن في طبقتهما مع ان اكثر قصائدهم غير سالمة من تلك العيوب

ومعلوم ان المعاني الشعرية تملأ الكلام وهي تجري على كل لسان ولكن ليس كل من يكتب معاني الشعر او يقولها يصح ان يعد شاعراً لان الشعر لفظي اكثر مما هو معنوي ولهذا رأينا البعض قد صرفوا الشاعرية عن المتنبي وهو هو في جلالة قدره وشدة حذقه في صوغ الشعر ثم اسندوها الى البحتري ومن جرى على طريقته مع ان البحتري لا يبلغ في شرف معانيه وبعد تصوره بعض ما يبلغه المتنبي وانما كان ذلك كله ايثاراً للتراكيب الشعرية والصناعة اللفظية على اختراع المعاني الجليلة وبعد الفكر فيها ولولا خوف الاطالة هنا لاوردنا من شعر البحتري وغيره ما ليس فيه شيء من جلالة المعاني ولكنه مع ذلك شعر محض فيه اشياء كثيرة من حلاوة النظم وحسن الذوق في ايراده واختيار اسلوبه

ولقد عني بالبحث في الشعر بهذا العهد جناب زميلنا اللغوي المشهور الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الضياء الاغر وهو الان يبعث من ضيائه مقالات متتابعة في فلسفة الشعر وبيانه وقد امعن بها جداً في تحديد الشعر وتقسيمه حتى لقد انفرد فيما ذكر وبحث على كثرة من اشتغلوا في هذه الفلسفة واقاضوا في حديثها

ونحن على ذكر هذا العلامة الفاضل نذكر انه الشاعر الذي ينبغي ان يجرى على طريقته في نظم الشعر الذي نسميه بالعصري فانه على تعمده وصف الجديد حتى لا يترك منه معنى يفوته لا يفوته ايضاً شيء من الشاعرية

العربية المحضة بحيث كان مازجاً بين العهدين جارياً على تمام الطريقتين وقد قرأنا لحضرته قصيدة في وصف الزهرة وجمالها وسيرها وتكوينها وهي على كونها قصيدة فلكية علمية فقد ينسى كل ما فيها من تلك الحقائق افتناناً بحسن سبكها وجودة الطريقة في نظمها

وعندنا ان هذه القصيدة العصرية الجديدة لو نقلت الى كل لغة لاصابت من ذوق اهلها استحساناً وملاءمة اذ ليس فيها من المعاني ما يختص الذوق فيه بقوم دون قوم ولو نشر عبيد بن الابرص وقيل له هذه من نظم زميلك امرئ القيس لما انكرها عليه لانها نظمت على موجب ما كان ينظم العرب

وعلى الجملة فان الشعر سواء اريد به وصف حالاتنا الجديدة واختراعاتنا الحديثة او اريد به حكاية قصص او عقد كلام فلا بد من الرجوع فيه الى الطريقة الشعرية المعروفة ومن لا يجد الا مخالفتها اعتماداً على ان حلاوة معانيه الجديدة تشفع له بذلك فاولى به ان لا ينظم لان قراءة تلك المعاني نثراً كاملة فيه شروط النثر ان لم تكمل حلاوته وحسنه لخير من قراءتها شعراً لا شروط شعر فيه ولا حسن شعر